Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كما كانت دليل المعارف إلى نفسها وعلامتَها الدالّة عليها. فاللغة، كما يقول آدام شاف: «تحتوي وتثبت في ذاتها تجربة الأجيال السابقة ومعرفتها»[28]. ويمكن أن نقول أيضاً إن اللغة تضيف إلى هذا التراث تجربة الأجيال اللاحقة ومعرفتها. غير أن ما تجب الإشارة إليه هنا، هو أن اللغة تقوم بهذا في وحدة مع الفكر، أي بوصفها نظاماً قاعدياً ودلالياً يربط بين صوت ومعنى في الوقت نفسه. ولما كانت اللغة كذلك فإنها تصل إلينا معبّأة بحمولات معرفية، وإنها بسبب هذا لتدخل في صميم عملنا المعرفي.

إن اللغة إذ تقول الشيء مرة على هيئة، فإنه ممكن لها ومتاح أن تعود إليه لتقوله على هيئات أخرى، يسمح بها نظامُها دلالةً وقواعد. وقولها هذا للأشياء يتراكم فيها ويتعاقب حيناً بعد حين وجيلاً بعد جيل، ليصل إلينا في دورة غير منتهية، وقد اتّخذ بعديه الزماني (الدياكروني) والآني (السانكروني)، ثم يستمر إلى ما لا نهاية. ولهذا، فإن ما يقال فيها يجد ثباته ومتغيّره بآن. وإن بناها لتساعد في ذلك. وقد لاحظ اللسانيون هذا الأمر وراقبوا ظهوره في اللغة بأشكال متعدّدة. كما لاحظوا أن كل شكل جديد يضفي معنى جديداً ومعرفة جديدة لا يحتويها الشكل السابق. فَقَرَّ عندهم نتيجة لذلك، أن اختلاف المعاني تبع لاختلاف البنى اللغوية التي تنتجها، وأن اختلاف المعارف تبع لاختلاف المعاني المنبثقة عن هذه البنى.

ولهذا تتعدّد المعاني فيها والشيء واحد، وتنبثق عنها كثرة والمرجع هو هو لم يتغيّر. ولقد تبدو المعاني بهذا، في تلوّنها مفارقة لمراجعها. فيتّجه فيها، إذ ذاك موضوع الكلام وجهة يخالف فيها مضمونه. وإنه لمن أجل هذا، قد دقّق اللّسانيون عموماً والدلاليون خصوصاً مناهجهم. ففرّقوا بين المعنى والمرجع، وبين المعنى